١٨ السوط . . !

ظل سعد زغلول – الذى لم ينجب – يردد دواماً أن مكرم عبيد هو . . «ابن سعد البكر» .

وكانت لذلك أسباب كثيرة نعرفها من قصة حياة مكرم عبيد .

ولد عام ١٨٨٩ ، وتعلم فى الكلية الأمريكية بأسيوط ، ثم درس فى أكسفورد وحصل على دكتوراه الحقوق من فرنسا .

وبعد عودته إلى مصر التحق عام ١٩١٣ بوزارة الحقانية «العدل» .

وفى سنة ١٩١٩ أصبح أستاذاً فى مدرسة الحقوق الملكية المصرية ، ولكنه فصل بعد عامين لأنه اشترك مع بعض زملائه فى إقامة مأدبة تكريماً لسعد .

وانضم إلى الوفد المصرى – وسافر إلى لندن يدعو له . . وعندما عاد إلى القاهرة استقبلته الجماهير بحماس ، وقابله سعد زغلول – نفسه – فى المحطة .

وبعد ثلاثة أيام نفى مع سعد زغلول ومصطفى النحاس وزملائهم إلى جزيرة سيشيل .

وأفرج عنه فرشح نفسه لمجلس النواب وفاز بالتزكية فى دائرة قنا . . بلده .

وسافر مع سعد زغلول إلى لندن فى أثناء مباحثات الزعيم المصرى مع رامزى ماكدونالد رئيس وزراء بريطانيا .

واعتقل – فترة – فى نوفمبر ١٩٢٤ بعد اغتيال السردار بتهمة إلقاء خطب ملتهبة .

وعندما اختير النحاس زعيماً للوفد عام ١٩٢٧ انتخب مكرم عبيد سكرتيراً للوفد مكان النحاس باشا .

والوثائق البريطانية تقول إنه « متطرف عنيف مناهض للبريطانيين » .

تولى الوزارة أكثر من مرة ، واشترك فى مباحثات معاهدة ١٩٣٦ ، ومنح رتبة الباشوية فى نفس العام .

والإنجليز يقولون عنه إنه رفيق النحاس ، ومستشاره الدائم . . وداخل الوزارة كان مكرم مسيطراً على النحاس .

وفى سنة ١٩٤٢ كان مكرم هو الرجل الثانى فى حزب الوفد . . فهو السكرتير العام للحزب الذى يتفاوض مع أحزاب المعارضة لتوزيع الدوائر الانتخابية .

وهو بعد أمين عثمان – الذى يستطيع الاتصال بالسفارة البريطانية لبحث شئون التموين باعتباره وزيراً لأخطر وزارتين فى أثناء الحرب العالمية الثانية : المالية والتموين .

* * *

ووصف الدكتور محمد حسين هيكل مدى العلاقة بين مكرم والنحاس فقال :

« لم تكن مكانة مكرم عبيد حديثة العهد ، بل كانت ترجع إلى عهد سعد زغلول .

وكان لمكرم أثر كبير فى اختيار النحاس باشا رئيساً للوفد .

وزادت المودة والثقة المتبادلة بين الرجلين بنفيهما معاً إلى سيشيل .

وكان النحاس يذهب ظهر كل يوم إلى مكتب مكرم عبيد – للمحاماة – ينتظره ليصطحبه إلى مصر الجديدة .

ولما عزم النحاس فى سنة ١٩٣٤ أن يتزوج كان لمكرم باشا يد فى اختيار حرم النحاس .

وبعد تأليف وزارة ٤ فبراير بدأ الخلاف بين الرجلين . . ثم اشتد حتى وصل إلى القطيعة .

وهناك أسباب ظاهرة للخلاف تطفو على السطح . . وأسباب أخرى دفينة عميقة .

يقول محمد زكى عبد القادر فى مذكراته :

« اعتاد مكرم أن يكون الأثير عند النحاس باشا . . بل اعتاد أن يملى إرادته ويتحدث باسمه ولسانه . . ولكنه أحس فى الشهور الأخيرة أن هناك سلطاناً يزحف كى يحيط بالنحاس باشا ويزيحه شيئًا فشيئاً . » .

كان صواعاً على السلطة داخل الوفد ، لا شأن له بسياسته ولا بمبادئه ولا باتجاهاته . أحس مكرم أن هناك نجماً طالعاً هو فؤاد سراج الدين الذى عين وزيراً للزراعة . ولم يكن سراج الدين وفديًّا . ولكنه استطاع فى وقت قصير أن يصبح وفديًّا . . وأن يقترب من مركز السلطان فى الوفد .

ولم يكن هذا الاقتراب هيناً . . كانت براعة من فؤاد باشا أنه استطاع شيئاً فشيئاً أن يبز

سلطان مكرم عبيد ثم يتحداه فيما بعد .

وأدرك مكرم باشا أن أمره انتهى . . إن لم يكن اليوم فغداً . .

ومن هنا تولاه ما يشبه اليأس فبدأ معركة ظانّاً أنه سيكسب المعركة ويسترد نفوذه عند النحاس .

وكان مكرم يعتقد أن النحاس لا يستطيع الاستغناء عنه ، أو لا يستطيع أن يعمل بدونه ، أو لا يستطيع أن يعمل ومكرم ضده .

هذا هو السبب الدفين العميق .

ولكن الناس فى تلك الأيام كانوا يتحدثون عن أسباب أخرى . . . واضحة . . وظاهرة .

. . الوفديون الذين بقوا خارج الحكم منذ إقالة النحاس عام ١٩٣٧ حتى سنة ١٩٤٢ بدءوا يطالبون بتعويض عن صبرهم وحرمانهم الطويل ، وما لقوه من اضطهاد الأحزاب الحاكمة خلال تلك السنوات ، فطالبوا بترقيات استثنائية رفضها مكرم عبيد .

ولكن النحاس ووزراءه أقروا هذه الاستثناءات برغم اعتراض مكرم .

وروى مكرم عبيد نفسه القصة التالية . . قال :

« إن زينب الوكيل حقدت عليه لأرباحه الطائلة من المحاماه عند خروجه من الوزارة - أما زوجها النحاس فليس له إلا معاشه .

قال لها مكرم عبيد أمام النحاس :

- إن لرفعة الباشا مكانه من الشعب ، ويعرف الناس جلال قدره .

ردت زينب الوكيل ساخرة :

- « يكفينا نعيرها » .

وطلب أصهار النحاس امتيازات واستثناءات فى أذون الاستيراد والتصدير - وهى مصدر ربح كبير أيام الحرب - فرفض مكرم كوزير للتموين .

* * *

. . ونبدأ ببرقية السير مايلز لامبسون فى وزارة النحاس عام ١٩٣٧ يومها قال السفير :

- زوجة النحاس ريفية لطيفة تجهل لباقة الحياة الوزارية ولها نزواتها . . ومن خلال ردود فعل النحاس الممثل فى حبه لها نجدها جعلت منه إنساناً يدعو إلى السخرية ! !

إن زوجة النحاس تعودت أن تتصل مباشرة بالوزراء من أجل تعيين أو ترقية أقاربها .

وفى ٦ أبريل ١٩٤٢ نجد فى البرقية رقم ١٠٠٠ إشارة إلى الخلاف بين النحاس ومكرم بسبب رغبة قرينة النحاس فى الحصول على امتيازات ومحسوبيات لأقاربها . . كما أن الكراهية

بين حرم مكرم وحرم النحاس ساعدت كثيراً على توسيع الخلاف .

ويقول السفير :

إن سوء صحة النحاس يجعل من الصعب عليه أن يصرف الشئون الإدارية بكفاءة . وهناك حديث عن ضرورة تعيين مساعد كفء للنحاس ليقوم عنه بهذه الأعمال .

ومكرم عبيد كقبطى لايستطيع أن يشغل هذا المنصب رسمياً . . وهو يبحث عن رجل من القش ليقوم بهذا العمل فى ظل نفوذ مكرم .

وهناك شك فى أن مكرم يريد أن يتقارب مع القصر الذى يرحب بأى انقسام فى الوفد .

وتشير البرقية بعد ذلك مباشرة إلى تعيين إقطاعى شاب هو فؤاد سراج الدين فى منصب وزير الزراعة بعد أن اختير عبد السلام فهمى جمعة رئيساً لمجلس النواب !

وقالت البرقية : «إن الوفديين ينتقدون هذا التعيين لوجود من هم أحق من سراج الدين بهذا المكان . . أى المنصب الوزارى »

ويكون فؤاد سراج الدين هو الذى يحتل منصب سكرتير عام الوفد . . بعد سنوات . . نفس المنصب الذى كان يشغله مكرم عبيد .

. . وحاول السفير البريطانى – عبثاً – التوفيق بين النحاس ومكرم حتى قبل الاستقالة بـ ١٣ يوماً .

وفى برقية تاريخها ١٣ مايو قال أمين عثمان للسفير البريطانى :

– الموقف بين مكرم والنحاس لم يتحسن ، والنحاس يريد أن يأخذ وزارة التموين من مكرم ليعطيها لوزير جديد .

وقال السفير :

– أكدت أن هذا خطأ كبير . إن رجالنا فى مركز تموين الشرق الأوسط يفكرون فى منع تسليمكم مواد التموين بالمرة ، وأنا – بطبيعة الحال – لا أصل إلى هذا المدى ، ولكن هذا يبين مايشعر به خبراؤنا .

سأل أمين عثمان :

– هل أستطيع أن أبلغ ذلك للنحاس .

قال السفير :

طبعاً بشرط ألا يظن النحاس أنى أريد أن أملى عليه كيف يدير دفة حكومته . أنا لاأريد أن يدين الناس جهودنا الحربية ، أو يظنون بها الظنون . ونقل مكرم من التموين يوحى بذلك .

قال أمين عثمان :

– إن خليفة مكرم سيكون وزيراً قادراً وكفئاً .

وأضاف أمين عثمان أن النحاس ألح عليه فى قبول وزارة التموين . وقد رفض لأنه لايريد إثارة شبهات فى أنه يتآمر على مكرم . ولأنه لايستطيع أن يجمع بين عمله الحالى كرئيس لديوان المحاسبة ، ووزارة التموين .

وفى نهاية اللقاء يؤكد السفير أن الانقسام والانشقاق بين النحاس ومكرم غباوة وحماقة لعدة أسباب .

١ – أن مكرم يؤدى عمله على خير وجه .

٢ – أن التموين سيذهب إلى الشلة .

. . يعنى بذلك أسرة حرم النحاس .

وكتب السفير برقيته يقول :

–كل هذا يجعلنى أتساءل . . هل أخطأنا عندما منحنا النحاس شيكاً بالتأييد على بياض !

* * *

وزادت حدة الخلاف بين الرجلين فاستقبل الملك فاروق كلا من النحاس ومكرم عبيد على حدة للتوفيق بينهما ، وقيل أيامها إن الملك تدخل – لا للتوفيق – ولكن ليوعز لمكرم عبيد أن القصر بناصره .

وحسم النحاس المشكلة فعين أحمد حمزة وزيراً للتموين ، وأصبح مكرم عبيد وزيراً للمالية – فقط – ولا يملك منح الأذونات المطلوبة . .

وطلب النحاس إلى مكرم عبيد أن يستقيل فرفض . .

وأخيراً استقال النحاس يوم ٢٦ مايو ١٩٤٢ أى بعد ٣ شهور ونصف من مجىء الوفد إلى الحكم .

وقال النحاس فى خطاب الاستقالة :

« نظراً لما قام بينى وبين مكرم عبيد من خلاف جوهرى طال أمده ، وتعددت مظاهره وتعذر علىّ علاجه مما أدى إلى استحالة استمرار التعاون بيننا . . . » .

وألف النحاس الوزارة بدون مكرم .

وفى يوليو فصل النحاس – من حزب الوفد – . . مكرم عبيد . . .

رفع مكرم عبيد شعاراً له « نزاهة الحكم » ضد فساد الوفد وألف « الكتاب الأسود » يروى فيه فضائح الاستثناءات والمحسوبية لأصهار النحاس ووزرائه .

وأعلن النحاس من ناحيته الحرب على أنصار مكرم فى مجلس النواب ، فأخرجهم من المجلس وأسقط عنهم العضوية ، لأنهم لم يكونوا قد بلغوا السن القانونية يوم انتخابهم .

وهدف النحاس من ذلك تهديد النواب الآخرين الذين يريدون تأييد مكرم . .

وبدأ مكرم يردد أن نزاهة النحاس هى أساس زعامته ، وأنه كان مع النحاس عندما كان النحاس نزيهاً . . وأنه عندما فقد النحاس هذه النزاهة لم يبق له من الصفات ما يؤهله للقداسة أو الزعامة .

وأخذ مكرم يجمع الوثائق على انحراف الوفد وفساد رجاله ، وكيف أصبح الوفديون الفقراء - من شهور - من أصحاب الألوف وعشرات الألوف . ثم أصدر كتاباً يضم هذا كله أطلق عليه « الكتاب الأسود » .

وقد طبع الكتاب ووزع دون أن تعرف الحكومة . .

ولقصة الكتاب رواة كثيرون . . وكل . . روى القصة من زاويته ومن خلال هذه القصص جميعاً نعرف كيف صدر الكتاب الأسود .

* * *

ونبدأ بقصة جلال الدين الحمامصى . . أكثر النواب والكتاب الوفديين حماساً لنزاهة الحكم ، وقد دفع الثمن بإقصائه من عضوية البرلمان . . فقد أسقط مجلس النواب الوفدى عن جلال الحمامصى عضوية المجلس بدعوى صغر سنه .

وجد جلال الحمامصى أن وقائع فساد الوفد أخذت شكلا مثيراً . فالعمولات تدفع مقابل تخفيف وشطب أحكام التموين استناداً إلى الرقابة على الصحف . فسأل أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى :

– ألا من سبيل لوقف الفساد ؟

قال أحمد حسنين :

– لا يمكن أن أتحرك إلا إذا كانت هناك أدلة ووقائع تحت يدى .

وروى جلال الحمامصى هذا الحديث لمكرم عبيد فقال مكرم :

– ما رأيك فى أن نجمع الوقائع ووثائقها ثم نضعها عريضة نرفعها إلى الملك ؟ . .

وطلب مكرم إلى جلال الحمامصى أن يدبر طبع العريضة لتكون منشوراً مطبوعاً فى شكل كتاب .

وبدأ مكرم يعمل على استيفاء البيانات والوثائق . ويعد العريضة كما يفعل النائب العام . وكون الحمامصى فريقاً من شباب الحزب لتحمل أعباء مهمة طبع الكتاب .

وعندما أحس بشدة مراقبة البوليس ذهب إلى أحمد حسنين وقال إنه يخشى أن يضيع الجهد الجبار.

رد أحمد حسنين.. وكان ذلك فى أوائل مارس ١٩٤٣ قائلاً:

لا مانع عندى من تسلم النص المكتوب باليد ومعه الوثائق للاحتفاظ بها فى خزائن قصر عابدين..

وطلب أحمد حسنين إلى جلال الحمامصى أن يسلمه العريضة والوثائق فى منزله.. ومنه نقلها أحمد حسنين إلى خزانة قصر عابدين..

ولما ذهب مكرم عبيد إلى القصر ليقدم العريضة بطريقة رسمية لم تكن مع مكرم ورقة واحدة.. بل كان كل شىء داخل القصر.

.. دخل مكرم عبيد على الدكتور محمد حسين هيكل فى منزله ودفع إليه كتاباً ملفوفاً فى ورق أزاله هيكل فإذا للكتاب غلاف أسود.

قال هيكل:

- ما هذا؟

رد مكرم:

- هذا هو الكتاب الأسود الذى جمع فضائح النحاس ووزارته.

قال هيكل:

- ومتى طبعت هذا الكتاب؟

أجاب مكرم:

- استعنت بكل من استطعت الاستعانة بهم لجمع هذه البيانات وتبويبها وترتيبها وطبعها، وهؤلاء جميعاً عدد قليل جداً.

ولم أرد أن أظهر أحداً على ما تقوم به ليظل السر فى أضيق حدود، وقد خشيت أن تسقط كلمة هنا أو هناك من غير عمد فتقف عليها الحكومة فتفسد علينا عملنا.

وتوفر هيكل على قراءة الكتاب ليجد فيه العجب العجاب كما قال مكرم عبيد بأن الوفد انتقل من الحزبية السياسية إلى القرابة العائلية والمحسوبية الشخصية.

وانتقل إلى استغلال الحكم فى الكبيرة والصغيرة استغلالاً، هوى فى بعض الأحيان إلى الصغائر، وضخم فى أحيان أخرى فتناول الضياع الواسعة.

.. ذلك ما احتوى عليه الكتاب الأسود.

قال هيكل:

« لم تمض أيام حتى كان الكتاب الأسود قد أثار فى البلاد كلها ضجة أى ضجة . . مع أن الرقابة على الصحف منعت الإشارة إليه . وبدأت الصحف الإنجليزية فى إنجلترا تتحدث عنه .

واضطربت الوزارة إزاء الحملة العنيفة التى وجهت إليها . . والتى تشعر أن لبعض المقامات يداً فيها .

وسكتت الوزارة طويلاً قبل أن تتخذ إزاء الكتاب وإزاء صاحبه إجراء ، أيًّا كان نوعه . مكتفية بمنع الصحف من الإشارة إلى الموضوع .

* * *

أما السفير البريطانى اللورد كيلرن فيروى قصة أخرى . . من وجهة نظر بريطانيا ومصلحتها بطبيعة الحال .

قال السفير البريطانى فى مذكراته يوم ٨ أبريل ١٩٤٣ . وكان الكتاب الأسود قد طبع فى أثناء غياب السفير فى جنوب أفريقيا . . فى إجازة . .

وكل حدث ضخم فى مصر يريد مسئول مصرى القيام به فإنه لا يفعل ذلك إلا فى إجازة السفير ! قال :

« أثار أحمد حسنين مسألة هذا الكتاب الأسود الذى قدمه مكرم للملك . . وقصة هذا الكتاب كما يلى :

منذ وقت طويل كانت هناك تقارير قوية متتابعة تفيد أن مكرم يقوم بجمع عدد من القضايا مدعمة بالوثائق حول الرشوة والفساد وغيرهما من جانب النحاس وزملائه .

ومنذ وقت قريب نما لعلم الحكومة أن هذه الوثيقة يجرى طبعها .

وقام البوليس بعدة حملات على عدد من المبانى لوقف هذا العمل .

ولكنه -كالعادة - فشل فى ذلك وتم طبع الكتاب ، ويتم توزيعه الآن على نطاق واسع .

وبالإضافة إلى ذلك قام مكرم أخيراً بزيارة حسنين وقدم التماساً للملك متضمنا هذا الاتهام ضد الحكومة .

وطالب بالتدخل لمصلحة البلاد والتخلص من هذه الفئة من السياسيين غير العارفين بالجميل .

وبالطبع أدى ذلك كله إلى قدر كبير من الهياج ، لأن أكثر ما يبدو من هذا الكتاب المزعوم أنه يحتوى على شهادات إدانة .

حدث كل هذا قبل عودتى .

وباستثناء إبلاغ وزارة الخارجية البريطانية بهذا الموضوع فى عبارات عامة فإن السفارة لم

توضع فى الصورة عن هذا الكتاب .

والليلة - كما توقعت أثار حسنين المسألة برمتها . . وكان الملك فاروق متوتراً بشدة ويفكر فى اتخاذ إجراء حاد ضد رئيس الوزراء .

وقد أبلغت حسنين - بحسم - أنه يجب أن يقوم بكبح جماح هذا الملك الشاب . . ودون إلزام نفسى بشىء فإنى أرى على ضوء ما جاء فى الكتاب الأسود أن الملك (فاروق) يجب أن يدرك بالتأكيد خطورة الأمر من كل جانب لو حاول أن يكرر غلطته عام ١٩٣٧ عندما اتخذ موقفاً متعسفاً بإقالة حكومة تسيطر على أغلبية ضخمة فى البلاد .

وفى رأيى أن معظم النكبات الداخلية وعدم الاستقرار الذى حدث فى مصر منذ ذلك التاريخ أى منذ عام ١٩٣٧ يرجع إلى هذا الخطأ الدستورى الضخم .

إن على أحمد حسنين أن يمنع الملك (فاروق) - بأى ثمن - من تكرار هذا الخطأ مرة أخرى . .

ومن المؤكد أن على الملك فاروق أن يقتنع بأنه لا يجب أن يفعل شيئاً يدمغ بأنه عمل متحيز .

إن على فاروق بالتأكيد ألا يتصرف بناء على كتاب من عدو سافر للنحاس ولم يثبت حتى الآن صحته أو عدم صحته .

واعترف حسنين صراحة أنه كثيراً ما يتصرف على هذا النحو ، إلا أن وضعه صعب للغاية وأنه - حتى الآن - منع الملك من استقبال أى من أعضاء المعارضة لهذا الشأن . . ونتيجة لذلك فإنه يلقب من قبل هذه الدوائر بأنه «رئيس مجلس الوزراء» السفير البريطانى . .

قلت لحسنين :

- إنى فخور لإحساسى بأن أى شخص عليه أن يقدم مثل هذا الاقتراح حتى ولو كان قائماً على أساس ضعيف . .

ولكنى متأكد أن حسنين محق تماماً فى منع سيده الشاب فاروق من أن تجره لعبة السياسة الحزبية .

وقلت من قبل مراراً بأن الملك الدستورى يملك ولكن لا يمارس السلطة . .

وقلت لحسنين إنه من الصعب معرفة ما الذى يجب اتباعه .

ولا أزعم أننى أمثل سلطة فى إطار الإجراءات الدستورية المصرية .

ولكن المؤكد أن الأمر الطبيعى بالنسبة لجلالة الملك فاروق أن يعطى التعليمات لحسنين بأن يحيل الالتماس - أى الكتاب الأسود - إلى رئيس الوزراء للنظر .

وقال حسنين إنه يحاول العمل فى نفس ذلك الاتجاه . . لكن كبح جماح الملك أمر غاية فى الصعوبة . .

وحذرته من أن نتائج لا يمكن التنبؤ بها قد تحدث إذا اتخذ الملك أى إجراء متهور بالنسبة لهذا الموضوع .

وقلت إنه على حسنين أن يفعل كل ما بوسعه لمنع حدوث مثل هذا الأمر .

وقد غادرنى حسنين وهو يقول إنه سيستمر فى عمل كل ما بوسعه » .

« إننى أخشى أن يحمل هذا الموضوع بذور نزاع حقيقى بين الملك والحكومة . .

وليس لدى شك فى أن الملك سعيد بأنه وجد الأساس لطرد النحاس .

ولا أستبعد أن يكون جلالته حرض — أو على الأقل شجع — مكرم عبيد على إبراز هذه الوثيقة — أى الكتاب الأسود — وأعتقد أن الملك (فاروق) يشعر أنه بعد أن أقام — كما يظن — علاقات طيبة بالسفارة البريطانية أصبح بمقدوره ، وهو آمن ، أن يدفع بالنحاس ليصبح العدو رقم ١ للشعب .

وأظن أن لدى جلالة الملك فاروق فكرة مؤداها أن تخلصه من عدو الشعب رقم واحد سيجعله فى موقف أفضل للتخلص منى أو ممن يراه ، العدو رقم ٢ للشعب الذى لا يمكن للشعب أن يغفر ما وقع منه يوم ٤ فبراير من العام الماضى » (أى عام ١٩٤٢) .

* * *

أما الملك فاروق فرأى فى الكتاب الأسود فرصة لعزل النحاس . .

قال المتصلون بالقصر إن الحل الوحيد هو الاحتكام للشعب . .

وفسر كل طرف الاحتكام إلى الشعب على هواه .

رجال القصر يرون عزل النحاس أولا وتأليف حكومة محايدة تجرى انتخابات جديدة « أو تزويرها » فإذا عاد الوفد إلى الحكم فإن الملك (فاروق) ينزل على إرادة الشعب .

ورجال الوفد يرون أن يجرى الوفد هذه الانتخابات . . وكانوا على يقين من أن الوفد هو الفائز .

وللسفير البريطانى فى كل هذه الحكايات والروايات والاقتراحات رأى محدد أبداه لأمين عثمان عندما التقى به يوم ١١ أبريل ١٩٤٣ كما تقول البرقية المرسلة من السفير إلى الوزارة البريطانية .

١ — زارنى أمين عثمان . . شرحت له وجهة نظرنا وهى أن يقوم النحاس ، بطريقة ، أو بأخرى ، بتفنيد التهم الواردة فى الكتاب الأسود ضده ، فإذا تم ذلك فإن عملنا يصبح

أكثر سهولة لأننا بحاجة ملحة – فى ظل ظروف الحرب – إلى حكومة تقوم فى مصر بتنفيذ المعاهدة بإخلاص تستندها فى ذلك أغلبية كافية فى البلاد تمكنها من المضى فى هذه السياسة على نحو فعال .

وقد استطاعت حكومة الوفد أن تؤدى هذا الغرض ،

ولسنا الآن فى وضع نبدو فيه وكأننا نغضى عن الفساد أو نحميه .

٢ – أثيرت خلال محادثاتنا فكرة الرجوع إلى الشعب ، وهى فكرة لها جاذبيتها لكنه من المستحيل تقريباً أن تجىء حكومة محايدة لإجراء انتخابات حرة . وسيعارض الملك قيام النحاس باشا بإجراء الانتخابات . . وأية حكومة أخرى يعينها الملك ستعمل – بغير شك – على تزييف الانتخابات .

٣ – أخيراً أكد أمين عثمان الرأى القائل بأن أفضل الطرق هو أن يقوم رئيس الوزراء بتفنيد الاتهامات أمام البرلمان ردًّا على أسئلة أو استجوابات من الأعضاء .

وقال أمين عثمان إن رئيس الوزراء – مصطفى النحاس نفسه – يميل إلى هذه الطريقة .

٤ – استقر رأينا على أن أفضل إجراء فى هذا الشأن هو أن يقوم حسنين باشا بإحالة الالتماس الذى رفعه مكرم عبيد « إلى الملك فاروق » فى مقدمة الكتاب الأسود إلى رئيس الوزراء « للنظر فيه » .

ورأينا أنه ليس من المستصوب أن أقدم بنفسى هذا الاقتراح بل يقترح حسنين على الملك أن يطلب إيضاحات من النحاس باشا .

ووافق أمين عثمان على أن من الأفضل أن يرى النحاس باشا بنفسه حسنين ويناقش معه هذا الإجراء .

* * *

أصبحت نزاهة الحكم مشكلة مصر كلها .

وأصبحت السفارة البريطانية طرفاً فى هذه المشكلة الداخلية . . لصالح حزب الوفد .

وكان الملك فاروق يفكر فى عزل النحاس ، لأن الفضائح التى تضمنها الكتاب الأسود هزت سمعة الوفد ، وأكدت أن الفساد استشرى فيه .

وتدخل الإنجليز – وبحزم – لإنقاذ النحاس وإبقائه فى الحكم .

اجتمع اللورد كيلرن بالملك فاروق ، ويكتب اللورد لحكومته يوم ١٤ أبريل يقول :

١ – « رأيت الملك « فاروق » عصر هذا اليوم واستغرقت المقابلة أكثر من ساعة ، واتسمت بروح الود والطابع غير الرسمى .

٢ – بدأت بالإشارة إلى أن جلالته ربما يستشعر ما نستشعره نحن من حرج إزاء التطورات الراهنة .

وحددت سياستنا التى وافق عليها باعتبارها سياسة طبيعية وسليمة وليس بوسعنا اتباع سياسة أخرى بينما نحمل عبء الحرب على أكتافنا » .

« أبلغته بنص تعليماتكم الصادرة ببرقياتكم إلىّ ، وتلقاها جلالته بقبول حسن وأعرب عن عدم اختلافه مع أى منها . .

وأعربت لجلالته بشكل صريح عن ضرورة أن يمنح النحاس باشا رئيس الوزراء فرصة تبرئة ساحته وساحة حكومته من الادعاءات الواردة فى « الكتاب الأسود » برغم أن جلالته كان لديه أمل ضئيل فى أن البرلمان ليس مناسباً ولا كافياً ولا مقنعاً لأداء تلك المهمة .

وبعد ذلك سلمنى جلالته بشكل غير رسمى تماماً ورقة مطبوعة على الآلة الكاتبة اقتطف منها ما يلى .

« تعلمون سعادتكم بتلك الاتهامات الخطيرة التى وجهت إلى رئيس الوزراء وزملائه .

« وباعتبارى ملكاً دستورياً لهذه البلاد فإن من واجبى – تأميناً وحفظاً لكرامة واستقرار الحياة والمؤسسات السياسية ومن ألزم الأمور اتخاذ خطوات من شأنها تمكين رئيس الوزراء ووزرائه من الدفاع عن أنفسهم ضد هذه الادعاءات .

ولكن لا أرى أن من الممكن تحقيق ذلك عن طريق طرح الثقة بالحكومة على البرلمان الحالى » .

٣ – فيما يتعلق بالمناقشات فى البرلمان فقد اعترفت أنها ربما تكون متسمة بشىء من العنف برغم أن كثيراً من المسائل يتوقف على المناقشات القادمة وخط سيرها وكيفية تقبل الرأى العام لها .

إن الخطأ الأساسى يكمن فى نظام الحركات البرلمانية فى مصر من أساسه وتعمل كل حكومة فى ظله بشكل أو بآخر على التدخل فى سير الانتخابات . . ولكن البرلمان لا يزال موجوداً ولا يمكن تجاهله فى الأزمة الحالية . .

– إذا كان بوسع النحاس باشا أن يعود إلى البلاد فيطرح عليها الثقة به فإن ذلك سيكون أفضل الحلول ، لكن هل فى وسع النحاس ذلك !

وكنت حريصاً على إبلاغ الملك بأنى لا أعرف موقف النحاس باشا فى هذا الموضوع .

أجاب جلالته إن ذلك غير جائز دستورياً ، ولكن حتى لو استطاع النحاس باشا أن يفعل فإن الأمر يكون بمثابة وضع المتهم فى موقع القاضى والحكم .

ثم طالت مناقشتنا فى موضوع استشعار رأى البلاد وأحاسيسها الحقيقية ولم يذكر الملك أن تعليقنا الخاص بمكرم عبيد فيه كثير من الوجاهة الخاصة .

وهو يستصغر شأن مكرم عبيد كثيراً .

٤ – لم تكن هناك إشارة إلى حكومة بديلة .

ورأيت من الأحوط عدم تنفيذ تعليماتكم فى هذا الشأن فقد يؤخذ الأمر على أنه تشجيع للملك على استبدال النحاس باشا وهو أمر سابق لأوانه قطعاً .

٥ - فيما يتعلق بموضوع « المقاطعة » قال جلالته إنه يحاول أن ينأى عن إقحام نفسه مع الناس ، بل يود لو تمكن من القيام برحلات فى الصحراء لمدة خمسة أيام . . لكن ذلك مستحيل .

٦ – الإنجاز الأكبر الذى تحقق من محادثتنا هو نجاحى فى إزالة خطر طرد النحاس باشا بصورة مفاجئة انتظارا لما يتخذه البرلمان من إجراءات .

٧ – بالنسبة لحسنين باشا . . أبلغت جلالته أننى أعتقد أن حسنين لم يكن على مايرام الليلة الماضية ، وإنى أرجو ألا يتركه جلالته يذهب « يستقيل » .

رد الملك فاروق بأن حسنين يتحمل مسئولية كبيرة وشعر جلالته بكثير من القلق فى هذا الصدد » .

* * *

وتراجع برقية اللورد كيلرن مراجعة دقيقة فى لندن – بين السير ألكسندر كادوجان الوكيل الدائم لوزارة الخارجية ، ومستر سكريفنر رئيس القسم المصرى .

ويرفع السير كادوجان هذه المذكرة إلى وزير الخارجية البريطانية :

« تناقشت مع سكريفنر حول برقية السفير واتفقنا مع رأى وزير الخارجية فى أن مقابلة السفير مع فاروق لم تجر على ما يرام ولكن أهم ما فيها أن النحاس لن يطرد » .

وكان لزاماً على السفير أن يتخذ موقف الدفاع ، فليس بوسع أحد أن يدعى عدم وجود فساد فى حكومة وفدية . .

وبرغم أننا لم نتلق ولو ملخصاً لكتاب مكرم عبيد الأسود ولكن لاشك فى احتوائه على بعض « القرائن الدامغة على جود حالات صارخة من السلوك غير السليم ومن الانتهازية » .

وقال كادوجان :

« منذ شهور عقبت على تعيين النحاس أحد أبناء إخوته ممن لا خلاق لهم فى منصب قاض خاص ، ينفذ قوانين محاربة السوق السوداء ، الأمر الذى أطلق يد ذلك الشاب الوفدى –

القاضى قريب النحاس – فى أن يلهب ظهر كل تاجر لا يدفع له رشوة . »

« ومن الصعب على أى إنسان يدعى أن أعضاء مجلس النواب المصريين يرضون بالتخلى عن مكافآتهم البرلمانية إذا واجهوا حل المجلس وفيه أغلبية وفدية كاسحة . »

« إن النواب الوفديين ليسوا الساحة المثالية التى تطرح عليها اتهامات من هذا النوع كى تبت فيها ، ومع ذلك فإن أية مناقشة فى البرلمان المصرى من شأنها تخفيف حدة الاتهامات الحقيقية ضد النحاس بنسبة ما .

ومن الصعب تصور بديل آخر . .

وإذا كان لنا أن نشجب الدرجة التى تمكن الملك بها من أن يشن هجومه فإنى أنتهز الفرصة لأختلف مع تعليق وزير الخارجية الذى يحبذ ما فعله السفير من الإحجام عن دفع الملك حتى يفصح عن نواياه .

ولست أدرى كيف نأمل أن نضع الملك فى حالة دفاع بغير أن نحمله على الإفصاح عن خططه . وهى خطط يفترض بداهة أنها غير مرضية لنا ، وأفضل منها استمرار الحكومة الوفدية الراهنة برغم كل ما يشن عليها من هجوم . » .

« ومن السهل معرفة هل لدى الملك خطة لأن يعود إلى الحكم صديق مخلص لنا مثل حسين سرى .

ومن السهل فى الوقت نفسه دحض أى اقتراح للمجىء بصنيعة من صنائع القصر مثل أحمد حسنين » .

« ونحن نشعر أنه ليس بوسعنا عمل أى شىء إلا انتظار الإجراءات البرلمانية » .

* * *

ولكن بريطانيا لا تنتظر ما يقرره مجلس النواب المصرى بل تتدخل لحماية النحاس من الإقالة .

يجتمع الجنرال ولسون قائد القوات البريطانية فى مصر بالقيادة العامة لبحث موقف القوات البريطانية إذا اضطرت للتدخل لإرغام فاروق على الإبقاء على النحاس بعد أن بعث كيلرن إلى تشرشل يقول : الضعف لا يجدى أبداً .

وفى مذكراته يوم الخميس ٢٧ أبريل كتب كيلرن من الشاليه الذى يقيم فيه بصحراء الأهرامات يقول :

« كنت آمل أن أبقى هنا فى الصحراء طيلة اليوم ، ولكن اتصل كيزى – يقصد اللورد كيزى وزير الدولة – بى فى الصباح . وطلب إلىّ أن أحضر اجتماعاً خاصًّا للجنة الدفاع فى الساعة الرابعة .

« ذهبت فى الموعد المحدد فوجدت ثلاثة من القادة العسكريين إلى جانب كيزى ووالتر موين (يقصد اللورد موين) .

« بدأ جامبو ويلسون قائد القوات البريطانية الاجتماع فتقدم بتقرير حصل عليه من الجنرال ستون جاء فيه أنه يخشى أن تتحرك الأزمة بحيث يصبح هناك احتمال باستخدام القوة .

« أوضح القادة أن هذا الأمر مستبعد تماماً على ضوء وجود قضايا معلقة أهم .

أوضحت أننى لم أذكر فى أى من برقياتى أنه يجب استخدام القوة برغم أن هذا الاحتمال لا يمكن تجنبه .

ولم أكن شخصياً أعتقد أنه سيكون ضرورياً استخدام القوة . وسيكون هذا صعباً من الوجهة العملية .

وشرحت لهم بالتفصيل كل القضايا القائمة – وكان هناك اتفاق عام بينهم على أنه يجب علينا أن نفعل كل ما بوسعنا – عدا استخدام القوة – حتى يبقى الوفد فى الحكم باعتبار أن هذا أفضل ضمان للإبقاء على مصر كقاعدة عسكرية .

وإذا كان عليهم أن يختاروا بين ذهاب الوفد وبين استخدام القوة فلا شك أن عليهم أن يختاروا استخدام القوة » .

ويرد تشرشل رئيس وزراء بريطانيا على قرار الجنرالات يوم أول مايو بضرورة استخدام القوة – عند الضرورة – حتى يبقى الوفد فى الحكم .

وهذا هو نص برقية تشرشل :

« بالإشارة إلى النتيجة التى توصلت إليها القيادة العامة بأن استخدام القوة فى الأزمة المصرية الحالية يفيد . فإنه من واجبكم اتخاذ الإجراءات الضرورية لتأييد سفير ملك بريطانيا فى تنفيذ سياسة جلالة ملك بريطانيا العظمى – ويبدو لى أنه غير محتمل جداً وقوع أى شىء أكثر من المظاهرات ، ولديكم القوة الكافية تحت تصرفكم »

ويتلقى كيلرن صورة من برقية تشرشل فيكتب فى مذكراته :

« هذا ما كنت آمله بصفة خاصة من العبارة التى وردت فى برقيتى من أن الضعف لا يخدم شيئاً .

إنها نفس النوع من العبارات التى تجذب انتباه رئيس وزرائنا .

وعلى أى حال فإن هذا التطور يؤيد كثيرا فكرة أن المشكلة ستبقى متعلقة بقدرتنا على استخدام القمع إذا لزم الأمر .

وأرى أن هذا سيكون صعباً جداً – ولكن الأعظم من ذلك أننا نعرف الآن أنه أمر فى

أيدينا ويعزز قدرتنا على العمل . » .

* * *

ويظل أمين عثمان يسعى بين النحاس وكيلرن ليضمن تدخل اللورد الحاسم لحساب الحكومة ، ويظل كيلرن ساعياً بين النحاس وفاروق من أجل بقاء الحكومة .

ويظل مكرم وأحمد ماهر وهيكل وكل رجال المعارضة فى انتظار أمر ملكى بإقالة النحاس . . وهم لا يعرفون أن القرار فى يد السفارة وحدها – فإن المعارضة كانت – برغم عبرة ٤ فبراير – تحيا فى وهم كبير ، وهو أن الملك يستطيع طرد النحاس !

أما شعب مصر فقد بقى يجهل هذا كله حتى نطقت الوثائق .

* * *

خضع فاروق مرة أخرى للإنذار البريطانى . . فيتخلى عن مكرم . . والمعارضة . . والكتاب الأسود .

وفى مذكرات كيلرن نجد صدى الانتصار ومداه :

« اتصل بى حسنين فى الصباح تليفونياً وأبلغنى أن الملك (فاروق) يريد أن يرانى فى الساعة الخامسة بعد الظهر .

ذهبت إلى القصر ووجدت (فاروق) فى أحسن حالاته وكان هذا دليلا على أن الدواء حقق مفعوله ، وتصورت أن ذلك ربما كان راجعاً إلى الإشارة التى ألمحت بها لحسنين عندما قابلته فى الأسبوع الماضى . .

قلت للملك : إنه لو أدى لعبته بطريقة سليمة فسيكون أمامه عمر طويل على العرش . ولكن المهم أن يثبت أنه يعمل معنا بإخلاص . . ويمكن أن تأتى حكومات وتذهب حكومات ولكن بشرط أن يبقى هو ممسكاً باللعبة فى يده بحكمة ليبقى له العرش .

وذكرت الملك (فاروق) بما قلته لحسنين فى أرمنت فى شهر مارس الماضى وبالانطباع المؤسف لدى بعض عناصر الشباب فى العائلة المالكة .

وقلت له :

إن الأمر بيد جلالته ليتصرف بحكمة ، وإن عليه أن ينجب ولداً .

قال : إن هناك أمراً أو أمرين ، يريد منى أن أساعده فيهما . ، وأهمها سوء استعمال الإذاعة فى السياسة الداخلية ، وأخيراً الغمزات التى تثار فى البرلمان ضد العرش .

وبالنسبة لى شخصياً فلم ألزم نفسى بأى شىء .

رفضت أن أكون رجل يريد لأعمال القصر الحقيرة .

قال جلالته إنه يأمل أن أكون الآن أكثر استعداداً كرجل بريد . ولكنى لم أبد أى تعليق وإن كنت أعتقد أن جلالته على حق تماماً .

وأما فيما يتعلق بالغمز داخل البرلمان قلت الحقيقة وهى أننى لا أعلم عنها شيئاً . . وقد تحدثنا قليلا عن الهجوم على القصر . . فى البرلمان .

قلت : إن الرجل الوحيد الذى تحدث معى بصورة رسمية أو اقترح شيئاً من هذا القبيل هو مكرم نفسه عندما كان وزيراً فى حكومة الوفد السابقة .

ضحك الملك . وقال إنه يعرف كيف كان مكرم سيئاً .

قلت : فى هذه الأيام توجد قلة من الملوك باقية فى العالم ، وعليه أن يتصور أننا لسنا بالطبيعة من محبذى إنقاص عددهم .

أقر بأن هذا مؤكد .

وقبل كل شىء فإننى أعتقد أن الحديث كان حسناً . وأملى أن يفتح لنا طريقاً للخروج من المأزق السياسى الحالى – ولكن ورقة الملك بالطبع تضع اللوم كله علينا ، وتظهر أنه يتصرف فقط لمصلحة الحرب .

* * *

وفى ٢٦ مايو يبعث اللورد كيلرن خطاباً شخصيًّا إلى (عزيزى أنتونى) . . والعزيز هو أنتونى إيدن وزير خارجية بريطانيا الذى ترك كل مشاكل الحرب الثانية ليتفرغ لإنقاذ حكومة النحاس . قالت هذه البرقية :

« . . شخصى

« . . عزيزى أنتونى . .

« شكرى الكثير لخطابك الذى وصل فى موعده تماماً ، وأؤكد لك أنه كان مفعماً بالأمل . . كانت هناك تطورات منذ كتبت لى . . وإنى واثق أننا ضمنا الآن وجود هدنة (بين النحاس والملك) .

ولم يكن هناك – كما أرجو – ما هو أفضل من الهدنة . .

رأيت الملك مرتين فى الأسبوع الماضى ، كان هادئًا مطواعاً ، وليس من شك فى أن رؤية السوط معلقاً على الحائط كان لها مفهومها تماماً .

إننى سهلت عليه الأمر قدر استطاعتى » .

« ومنذ ذلك الحين انشغلت بالطرف الآخر ، وضمتنى مساء أمس جلسة مصارحة مع النحاس . وكان فى حالة من الانقباض فتقبل ماقلته . وكانت جرعة مفعولها أقوى مما توقعت » .

« أما الآن فتشغلنى محاولة ترتيب مقابلة الملك فاروق للنحاس فى الأيام القليلة القادمة .

وقد شغلت وقتى كله بالتحرك بين الطرفين – القصر ورئيس الوزراء فى محاولة لضمان ألا يتململ الملك فى أثناء المقابلة من اقتراح النحاس إعادة تشكيل وزارته ، وأنا فى هذا الأمر كمن يسير على حبل مشدود » .

« أما ما أهدف إليه فهو إحداث تغيير فى وزارة المالية (ربما يتولاها أمين عثمان) ونقل وزير الشئون الاجتماعية الحالى (عبد الحميد عبد الحق) الذى ينظر إليه بشكل عام وخاصة أوساط الجالية البريطانية فى مصر على أنه المصدر الرئيسى لتيار معاداة الأجانب – ذلك التيار الذى نمقته جميعاً –

وآمل أن أحصل على هذين التغييرين إذا لعب الملك فاروق الدور الذى حددته له .

« فإذا تولى أمين عثمان وزارة المالية فإن ذلك كفيل بإزالة خمسة وسبعين فى المائة من متاعبنا اليومية ، وخاصة ما يتعلق بالمشاكل ذات الأهمية الحيوية فى الحرب مثل التموين .

إن وزير المالية الحالى « كامل صدقى » شخص لا يحتمل أبداً .

وإذا عدنا . . إلى مصطفى النحاس فقد أبلغته مساء أمس أننى سأكون مسئولا ولا شك أمامك وأمام الرأى العام عن أية أخطاء يقترفها .

« وعلى ذلك فإن عليه أن يتجنب أية مزالق أخرى وأن يستفيد من الدرس المرير الذى ناله .

وتلقى النحاس ذلك بقبول حسن .

وأرجو أن يلزم جانب الحذر - أما العبارة التى ظللت أشدد عليها أكثر من مرة فهى ، أن ينظف ساحته وأن يبقى عليها « نظيفة » وعلى ذلك فإننى أثق أن هذه العاصفة بالذات تم تخفيف حدتها » .

« ولكن متى يكون هبوبها فالله وحده يعلم .

لدىّ تصور أن المستقبل ينطوى على فترة صعبة ودقيقة .

ولكننا حققنا هدفنا الأساسى وهو عدم إحداث تغيير من شأنه أن يهز دعائم الاستقرار الداخلى فى مصر ، وتهتز معه قاعدتنا فى المستقبل القريب . » .

« وإذا عادت الأمور تسوء – وقد يحدث – فإن بوسعنا دائماً أن نلجأ إلى وسيلة الانتخابات العامة برغم أن ذلك ينطوى – كما نعرف – على إجراء متشدد نتخذه حيال الملك ونحن قادرون على مواجهة هذا الموقف إذا لزم الأمر وفى اللحظة المطلوبة . »

« وأخيراً اسمح لى أن أقدم شكرى على التأييد المتين الذى أوليته لى فى هذا الأمر ، فبدونه

لم يكن بوسعنا إحراز تلك النتائج ، وكما قلت فى إحدى برقياتى : الضعف لا يجدى أبداً » .

* * *

ويزداد فاروق خضوعاً . .

إنه يوافق على كل طلبات الوفد . .

والوفد بدوره – يوافق على كل طلبات السفير .

ولكن الملك « فاروق » كانت له مطالب وهى تعديل الوزارة ليخرج الوزراء الذين يكرههم .

أما اللورد كيلرن فقد أراد من التعديل الوزارى أن يخرج الوزراء الذين يعارضون مصالح بريطانيا فى مصر .

وكل تعديل وزارى جرى فى مصر فى أثناء الحرب العالمية كان له هدف واحد . . وكان يحقق نتيجة واحدة ، وهى أن يتم كل شىء لحساب بريطانيا ، وكان مصطفى النحاس يستشير السفير فى كل تعديل .

والدليل من هذه البرقية التى كتبها كيلرن يوم ٣١ مايو ١٩٤٣ وبعث بها إلى وزارة الخارجية فى لندن :

(٣١ مايو ١٩٤٣ – هام) .

١ – سيقدم مصطفى النحاس باشا الذى سيقابل الملك مساء هذا اليوم تعديلا جديداً فى وزارته على النحو التالى :

٢ – سينقل فؤاد سراج الدين إلى وزارة الداخلية ، وسيتولى مؤقتاً أعمال وزارة الشئون الاجتماعية ، ثم يسير التعديل على النحو التالى :

مصطفى نصرت – وزيراً للزراعة . عبد الحميد عبد الحق وزيراً للأوقاف ، أمين عثمان وزيراً للمالية ، فهمى ويصا وزيراً للرقابة المدنية ، كامل صدقى باشا رئيساً لديوان المحاسبة .

٣ – السبب الأساسى للتعديل هو الرضوخ أمام إصرارى على أن ينقل عبد الحميد عبد الحق من الشئون الاجتماعية ، وكامل صدقى من المالية ، ودمج الشئون الداخلية بحيث يقوم بأعمالها وزير واحد متفرغ .

٤ – ظلت المشاورات بشأن التعديل الوزارى قائمة لعدة أيام . .

وأطلعت حسنين باشا بناء على طلبه وبصورة غير رسمية على أفكار رئيس الوزراء فى هذا الصدد .

استجاب النحاس باشا لاعتراضات الملك على عمر عمر وكيل مجلس النواب فاستبعده من

الترشيح بسبب اتهام الملك له باستخدام لهجة ينقصها الولاء للملك داخل مجلس النواب .

٥ – رغب الملك أيضاً فى انتهاز فرصة هذا التعديل لضمان استبعاد حمدى سيف النصر (من وزارة الدفاع) الذى اتهمه بالحديث فى لهجة تتسم بالخيانة للملك مع ضباط الجيش ، وكذلك استبعاد نجيب الهلالى (من وزارة المعارف) بسبب دوره فى الهجوم على حسنين باشا فى مجلس النواب . . إذ اتهم حسنين بالحصول على منفعة خاصة . وتعمدت إبلاغ حسنين باشا بكل حزم مساء السبت بأن المسألة الوحيدة فى هذا الصدد هى مسألة تعيين وزراء جدد ، وأنه لا يمكن استبعاد الوزراء الحاليين ، ويبدو أن هذا الإبلاغ كان له مفعوله » .

ولقد أراد الملك أن يخرج من الوزارة حمدى سيف النصر باشا وزير الدفاع الوطنى لأنه هاجم الملك أمام ضباط الجيش .

ولكن اللورد كيلرن كانت له رغبات أخرى . . ولذلك رفض السفير ورفض رئيس الوزراء تحقيق مطالب الملك . . ولم يستجب الاثنان لرغبة ملكية واحدة . . بينما أجيبت كل طلبات السفير ! !

طلب اللورد كيلرن أن يترك الوزارة كامل صدقى باشا وزير المالية ، لأنه رجل ضعيف وغير كفء . . – وكان النحاس قد استبدل مكرم عبيد باشا وزير المالية المسيحى بوزير مالية مسيحى آخر وهو كامل صدقى . .

وخاف النحاس أن يفقد تأييد الأقباط إذا ضحى بكامل صدقى إرضاء للإنجليز فنقل كامل صدقى رئيسا لديوان المحاسبة أما وزير المالية الجديد فقد أحسن النحاس اختياره ، لأنه جاء بأمين عثمان باشا وزيراً للمالية .

ولم يكن أمين عثمان وفدياً ولكنه كان أهم من رجال الوفد جميعاً . . فهو الوسيط فى عملية « ٤ فبراير ١٩٤٢ » وهو الوسيط بين النحاس والإنجليز فى كل الأمور – وهو الرجل الذى يستشيره السفير البريطانى دوماً !

وأخيراً فإن أمين عثمان ساهم فى إنهاء عملية الكتاب الأسود لصالح النحاس .

ولذلك فإن اختيار أمين عثمان لوزارة المالية هو أفضل تغيير وتعديل وزارى لصالح الإنجليز ولصالح الوفد أيضاً .

أما عبد الحميد عبد الحق وزير الشئون الاجتماعية فإنه كان يحمل بذرة اشتراكية فى الحكم . .

كان يتكلم كثيراً عن تحقيق مطالب العمال ، ومطالب مصرية ضد الشركات الأجنبية وغضبت الجالية البريطانية فى مصر من عبد الحميد عبد الحق . . وغضب لهذه الجالية السفير

البريطانى . . ولذلك نقل عبد الحميد عبد الحق من وزارة الشئون الاجتماعية إلى وزارة الأوقاف . . أى (ركنوه) .

وبقيت مسألة تعيين فؤاد سراج الدين وزيراً للداخلية والشئون الاجتماعية معاً : إن هناك أسباباً كثيرة لهذا التعيين عبر عنها السفير البريطانى فى برقية له إلى لندن بأن هذا – « إصلاح طال انتظاره » . .

وبرقية السفير تبين كيف أصبح فؤاد سراج الدين أقوى رجال الحكومة . . بعد أمين عثمان . وكان الإنجليز – فى ذلك الوقت – يضعون عيونهم على فؤاد سراج الدين .

أما موقف فؤاد سراج الدين فتعبر عنه هذه البرقية التى بعث بها المستشار الشرقى للسفارة البريطانية فى القاهرة . . بعد تعيين فؤاد سراج الدين . . بشهور .

يقول نص البرقية وتاريخها مارس ١٩٤٤ . .

« فى سياق الحديث مع وزير الداخلية هذا الصباح . . بدأ الوزير الحديث – وفجأة – عن الصعوبات التى يواجهها .

وكان سراج الدين قد عاد من زيارة قام بها الملك إلى بورسعيد .

وقال إن الإنعامات التى منحها الملك لمحافظ القنال وغيره من الموظفين المحليين فى بورسعيد مثلٌ على ذلك النوع من المشاكل التى يتعين على الحكومة أن تواجهها .

وأخبرنى فؤاد سراج الدين أن رئيس الوزراء (النحاس باشا) لم يكن قد أحيط علماً بنية الملك الإنعام بالباشوية على المحافظ وعلى اثنين من أعيان بورسعيد .

وبرغم أن سراج الدين كان فى معية الملك لمدة يومين فإن الملك لم يذكر له كلمة واحدة عن هذا الموضوع .

وقال سراج الدين إن ذلك أمر غير دستورى .

وأعاد إلى الذهن ما فعله من قبل الملك الراحل فؤاد الذى منح رتبة لحسن نشأت دون استشارة سعد زغلول رئيس الوزراء فى ذلك الوقت .

وأدى هذا – كما يقول سراج الدين – إلى حدوث أزمة بين سعد زغلول والملك فؤاد . وعندما أحيلت المسألة للتحكيم أفتت المراجع القانونية بأن تصرف الملك غير دستورى برغم أن الملك يدعى لنفسه حق الإنعام بالرتب والنياشين على رجال بلاطه دون استشارة رئيس الوزراء مسبقاً » .

« وبدا فؤاد سراج الدين قلقاً بشأن آخر تصرفات الملك فاروق ، وأبلغنى أن النحاس باشا الذى علم بهذه الإنعامات الجديدة لأول مرة وهو يقرؤها فى صحف هذا الصباح خابره تليفونياً

وكان « عصبياً للغاية » .

« ومضى قائلا إنه يرى أن يتحدث هو وسراج الدين فى هذا الموضوع مع أحمد حسنين » .

بعد ذلك انطلق سراج الدين يسهب فى الحديث بشكل عام من المشاكل التى تصادف الحكومة ، وكان محور حديثه أن القصر وراء كل المتاعب حتى متاعب الحكومة مع المعارضة .

« وكان سراج الدين ودياً معى إلى أقصى حد . . وكان من الواضح أنه يحاول أن يعطينى انطباعاً بأنه يضعنى محل ثقته . »

« وقد تولد لدىّ بعد الزيارة الشعور بأنه مستعد لأن يضحى بعمره كى يعرف رأى السفارة فيه ، وما إذا كنا نوافق على توليه وزارة الداخلية . »

« وعند مناقشة موضوع الرقابة بشكل عام أعرب سراج الدين عن استعداده لمساعدتنا بكل ما فى وسعه ، وأكد لى أن بإمكانى الاعتماد على نفوذه الشخصى لدى رئيس الوزراء النحاس باشا فى هذا الأمر » .

وأعتقد أنه يتمتع بحظوة كبيرة عند رئيس الوزراء .

وقد تولد لى انطباع واضح جداً بأنه يريد إشارة منا عن الخط الذى يريد منا أن يتبعه .

* * *

ومن هذه البرقية نعرف أن الرجل القوى فى الوزارة – فؤاد سراج الدين - أصبح متلهفاً ليعرف رأى الإنجليز فيه . . وأنه يذوب شوقاً . . أو على حد تعبير الإنجليز أنفسهم . . مستعد للتضحية بعمره . . وأنه ينتظر إشارة لينطلق فى الخط الذى يرسم له ليقنع رئيس الوزراء باتباعه .

وهذا الضبط هو ما يفعله أمين عثمان . . غير أن أمين عثمان كان فى نهاية الطريق وفؤاد سراج الدين . . على أول الدرب . . يسير . .

ولم يتحقق أى هدف من إصدار الكتاب الأسود .

وإذا كان إيدن قد بعث إلى سفيره يهنئه على نجاحه بعد حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ فإنه – أى إيدن – بعث إلى كيلرن رسالة شخصية يوم ٥ يونية عام ١٩٤٣ يهنئه على تعديل الوزارة الوفدية . . وإنهاء مسألة الكتاب الأسود بغير ضجة . . وعدم طرد النحاس . .

والفارق الوحيد أن إيدن كان يهنئ فى المرة الأولى – السير مايلز لامبسون . .

وفى المرة الثانية كان إيدن يهنئ اللورد كيلرن ، لأن مايلز لامبسون فى تلك الفترة كان قد حصل على لقب لورد ، وأصبح اسمه اللورد كيلرن . وهذه أول مرة تمنح فيها بريطانيا أحد

سفرائها اللقب وهو — بعد — فى منصبه .

وكانت هذه إشارة واضحة لمصر بأن لامبسون يتمتع بثقة تشرشل الكاملة !

وهذا نص رسالة إيدن :

« أشكرك على خطابك فى ٢٦ مايو .

تتبعت باهتمام المراحل الختامية للكتاب الأسود وأهنئك على الهدوء الذى أنزل به الستار على ما كان ينتظر أن يكون دراما صاخبة ، وعلى نجاحك فى مسألة التعديل الوزارى وهذا يسهل ، كما تقول مسألة التموين التى اكتنفتها عقبات .

لذلك أعرب لك عن سرورى بأنك حادثت النحاس فى لهجة مشددة عن موضوع نظافة ساحته .

وكنا نميل بعض الشىء هنا إلى إجراء انتخابات عامة فى مصر كوسيلة لتنقية الجو ، لكننا الآن خرجنا من المشكلة .

وأصبح من المحتم اعتقال مكرم عبيد وجلال الدين الحمامصى وكل خصوم الوفد .

وأفاد البريطانيون من هذا كله .

فى السودان أصدر الحاكم العسكرى البريطانى قرار تشكيل المجلس الاستشارى لشمال السودان ليزداد السودان انفصالا عن مصر .

فى تلك الأيام من عام ١٩٤٣ لم يكن السودان يشغل بال أحد . كانت لعبة الحكم هى الأساس فى الصراع بين الملك ورئيس وزرائه .

* * *

ولا تنتهى الأزمات أبداً بين القصر والوفد . وسر هذه الأزمات عبر عنه سكريفنر رئيس القسم المصرى بوزارة الخارجية البريطانية فى مذكرة كتبها فى أكتوبر ١٩٤٣ يصف العلاقات بين ملك مصر وحكومة مصر .

« إن كلا من سلطة التاج وسلطة السلطة التنفيذية فى مصر لم يتم تحديدهما جيداً كما كان الحال فى إنجلترا فى القرن السابع عشر .

« وهذا التحديد سيتم يوماً ما .

إن الوضع الحالى ، غير الصحى ، يصوره من ناحية حقيقية كون النحاس مرتبطاً بعلاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتى ليسجل أهدافاً ضد الملك ، ويحصل على مزيد من الدعم الديمقراطى .

« ويصور هذا الوضع من ناحية أخرى أن الملك يبذل قصارى جهده ليقنع الشعب فى

بريطانيا عن طريق أسقف يورك وآخرين « بأن الملك فى مصر يجب أن « يملك ويحكم أيضاً » . . وأن الحكومات عارضة فى حين أن الملكية دائمة وعلى ذلك فهى الجديرة بالتأييد .

ولكى نكون منصفين للملك يجب أن نضيف أن محاولات جلالته لكسب تأييد حكومته كانت من الملامح المميزة للمسرح السياسى طوال العام الماضى تقريباً » .

« إن المصالح والتأييد البريطانى جعلا من النحاس رئيساً للوزارة فى ١٩٤٢ . . والنفوذ البريطانى أنقذ النحاس فى العام التالى » .

إن التدخل البريطانى قد يقلب كفة الميزان ضد الملك نهائياً فى الصراع المقبل ، لذلك فعلى الملك أن يجعلنا نؤمن أن مصالح بريطانيا المشروعة فى مصر المستقلة ، برغم الحكم الأوتوقراطى ، ستراعى على نحو أفضل ، ويمكن حمايتها أفضل بالتفاهم مع الملك – وهو العلامة المميزة الوحيدة فى الدولة – أكثر مما تكون مع زعيم حزب سياسى جماهيرى ووطنى فى الأصل ، ولكنه مصاب بعقدة كره الأجانب وفاسد وجاهل ، وعندما يكون هذا الزعيم فى المعارضة فإنه يسبب مضايقات وإزعاج لا يهدأ .

ولا يوجد بديل عملى غير حكومة من القصر .

« وسيكون بإمكان حكومة جلالة ملك بريطانيا ، بصعوبة عند نهاية الحرب ، أن تمتنع عن تأييد نمو المؤسسات الديمقراطية فى مصر بشرط سيطرة حكومة الشعب على الفساد وعقدة كراهية الأجانب .

ويجب اتخاذ قرار فى الموضوع قبل نهاية الحرب وبدء سحب قواتنا من القاهرة ونقلها إلى مكان آخر .

ومن الضرورى قبل أن يتضاءل وجودنا فى الميدان السياسى المصرى أن نعود إلى دور المتفرج ، وكلما تحقق ذلك بقدر أكبر كان أفضل .

ولن تحدد مصر مصيرها قبل أن نقرره نحن » .

ومن هذه المذكرة نرى سكريفنر يطالب بريطانيا بأن تحدد سياستها فى مصر . . وهى ضرورة تأييد الحكومة الديمقراطية أى الوفد . . بشرط أن يبقى الوفد نظيفاً . .

ومن ناحية أخرى فإن رئيس القسم المصرى فى وزارة الخارجية البريطانية ينصح حكومته بألا تتدخل فى الشئون الداخلية المصرية . . وأن تترك للمصريين حل مشاكلهم فيما بينهم . . ولكن أحداً لا يأخذ بهذا الرأى .

* * *

وتتعدد برقيات السفير إلى حكومته عن المحسوبية فى عهد الوفد . .

والسفير يقول إن الشكوى منها عامة . . ولكن هناك مبالغات ، وهو لايستطيع أن يتأكد من الأرقام والحقائق لأنه لم يعد للإنجليز مستشارون أو موظفون بريطانيون فى الوزارات . . باستثناء البوليس . . ومع ذلك فإن القادة الإنجليز فى البوليس يرددون قصصاً مزعجة عن المحسوبيات .

ويشير السفير إلى نقص الكيروسين والسكر .

ويشير إلى المحسوبيات التى وصلت إلى القضاء .

ويقول لامبسون لحكومته فى ٢٣ أكتوبر .

«لا أحد ينكر أخطاء النحاس فإنها واضحة . لقد أصبحت حكاية المحسوبيات حقيقية . وقد أثرت على الجهاز الحكومى .

إن الطبقات العليا والرسمية من هذا الجهاز تنتقد وتهاجم الحكومة علناً . . وبالذات بالنسبة لارتفاع أسعار المعيشة واختفاء مواد التموين .

وأنا – السفير – أبذل جهدى لحل هذه المشاكل تدريجياً . . فإن هذه الأمور تؤثر على الرأى العام . . وعلى تأييده للوفد » .

ولكن مايهم السفير هو أن الحكومة الوفدية لاتزال متعاونة . . أى متعاونة مع الإنجليز !

* * *

وتلجأ المعارضة إلى تقديم عريضة ضد الحكومة للملك . .

وتقرر المعارضة إرسال العريضة إلى حسن نشأت السفير المصرى فى لندن ليقدمها للحكومة البريطانية مباشرة .

ويعرف لامبسون بالأمر فيقول لحكومته . .

«إنها بداية حملة الهدف منها أن تتجمع لتؤدى لإضعاف الحكومة فيصبح من الصعب على بريطانيا الاستمرار فى تأييدها للوفد ! » .

ويكون أقوى المعارضين – بطبيعة الحال – مكرم عبيد الذى يقدم استجواباً ضد الحكومة فى البرلمان فى أول أغسطس ١٩٤٢ يؤجل النحاس الرد عليه ٣ أسابيع . ويستغرق نظر الاستجواب عدة جلسات . ولايؤدى إلى نتيجة بسبب الرقابة على الصحف ، ولكنه يكون معول هدم ضد الوفد . . فيما بعد .

وتكون المفاجأة الكبرى فى أثناء نظر استجواب آخر للمعارضة فى مجلس الشيوخ على الرقابة على الصحف أن حسين سرى يشير فجأة إلى حادث ٤ فبراير .

إن حسين سرى هو الذى اقترح اسم النحاس لأول مرة . . وهو أول سياسى مصرى أيد حادث ٤ فبراير .

عندما أعلن ذلك للسفير . .

وكان السبب فى حديث سرى عن ٤ فبراير . . أنه حتى ذلك الوقت . . لم يكن قد حصل على ثمن تأييده . . والسفير يقول لحكومته إن المعارضة تستميل إليها حسين سرى ! !

ولقد تساءل هيكل باشا فى مذكراته :

- كيف لايعتقل حسين سرى الذى جرؤ على الحديث عن ٤ فبراير .

والجواب الوحيد . . ولا جواب غيره :

إنه هو نفسه أحد أبطال ٤ فبراير . .

وبرغم اعتراض الإنجليز على موقفه فى مجلس الشيوخ . . فإنهم لايعارضون فى أن يحصل على بعض الشعبية التى تؤهله للعودة لرئاسة الوزارة . . ورئاسة الديوان فيما بعد !

ويشير السفير فى هذه البرقية ٢٤٣٩ بتاريخ ٢ فبراير لأول مرة إلى احتمال تغيير الحكومة فيقول :

« برغم كل مايجرى من الوفد فإنى لا أنصح بأن نخرج عن خطنا الحالى . . أى إخراج الحكومة تحت تأثير الهياج الذى أدت إليه حركة المعارضة .

إن هدفنا واضح . . وهو أن تكون فى السلطة حكومة مصرية تحقق مانريد فى ظل المعاهدة وتجعل قاعدتنا السياسية صلبة ومستقرة .

ولاتوجد حكومة دائمة ولكن لايوجد بديل للوفد فى الظروف الحاضرة . وحتى لو وجدت هذه الحكومة فإن الوفد لايزال حزب الأغلبية ووجوده فى المعارضة خطر كبير » !

بقيت مشكلة المعاهدة . . وأحاديث النحاس . . ضد الإنجليز . . قبل توليه الوزارة !

فى مشروع خطبة العرش الأولى لوزارة النحاس . . أراد الإشارة إلى تمسكه بالمعاهدة . . ورحبت السراى بحذف الجزء الخاص بالمعاهدة من الخطبة . . وأبلغ النحاس ذلك للسفير البريطانى . . وبقى النص كاملا كما أعده النحاس !

وأشار النحاس – لأول مرة – إلى ضرورة تعديل معاهدة سنة ١٩٣٦ . . عند لقائه بالسير ستافورد كريبس الوزير البريطانى يوم ١٦ أبريل ١٩٤٢ .

قال النحاس ، بعد أن أشار إلى إيمانه العميق والقوى بالتعاون مع الإنجليز . . إلى أنه عندما تنتهى الحرب فسيكون هناك مجال للحديث عن استكمال استقلال مصر .

قال النحاس إنه سيعلن فى البرلمان تضامنه الكامل مع الإنجليز وسيحدد بوضوح أن مصر

لن تدخل الحرب . . ذلك لمقاومة دعاية الأعداء اليومية باللغة العربية .. فى هذا الموضوع

وقال النحاس إنه يأمل أن يجد الإنجليز الوسيلة المناسبة لتأكيد تصريحه . وذلك بسؤال وجواب فى مجلس العموم .

رد السير ستافورد كريبس بأن هذا ممكن ، وأن السفير سيبحث التفاصيل .

فقال النحاس للامبسون :

- انتظر حتى أدلى بتصريحى .

وفى ٨ مايو يقدم السفير للنحاس وزير الدولة البريطانى الجديد للشرق الأوسط المقيم فى القاهرة :

يقول النحاس للوزير :

– إنى محرج . البرلمان يضغط علىّ كثيراً بشأن تصريحاتى التى قلتها خارج الحكم عن ضرورة تعديل المعاهدة . . ويجب أن أفند النقد الموجه لى .

وإنى أعلم أن هذا لامحل له فى زمن الحرب .

ولكن يجب أن أرضى الناس ضد مثيرى المتاعب . وإنى أريد تصريحاً مشتركاً مناسباً مع السفير .

يتدخل السفير فى المناقشة قائلاً :

كل شىء يعتمد أولا على الأفكار التى لديك .

ويكتب السفير لحكومته قائلاً :

– رئيس وزراء مصر يواجه مشكلة . ونستطيع أن نصل إلى صيغة مناسبة . . لإنقاذه من الحرج .

ويضيف السفير :

فى كل أحاديثى غير الرسمية كنت أقول إنه بعد انتهاء الحرب فإننا نحن الذين سنطالب بتعديل المعاهدة . . وليست مصر !

ولكن وزارة الخارجية البريطانية تحدد سياستها . . وكتبت إلى قيادة أركان حرب القوات البريطانية بهذه السياسة التى تتلخص فيما يلى :

« دون موافقة الطرفين لاتعديل فى المعاهدة قبل ٢٢ ديسمبر ١٩٤٦ .

ولكن ربما نطلب حكومة مفاوضات لمعاهدة جديدة قبل ذلك . . وفى هذه الحالة فإن حكومة صاحب الجلالة لأسباب خاصة بها قد توافق على ذلك .

وإذا حدث هذا .

وإذا اصرت مصر على جلاء كل القوات البريطانية بعد الحرب :

١ – لابد من إيجاد قواعد عسكرية وجوية فى برقة للقوات الموجودة فى مصر. وتصر وزارة الخارجية .

٢ – من الضرورى الحصول على قاعدة بحرية بريطانية فى الإسكندرية لمدة ٩٩ سنة على غرار القواعد الأمريكية فى جزر الهند الغربية .

وإذا كان النحاس فى هذه الوزارة لم ينجح فى تعديل المعاهدة . . فإنه فى وزارته التالية يلغى معاهدة ١٩٣٦ وذلك يوم ٨ أكتوبر ١٩٥١ » .

* * *

وينتهز النحاس زيارة وندل ويلكى – الذى كان مرشحاً للرئاسة فى أمريكا – للقاهرة فيحدثه عن الاتصال المباشر بين مصر وأمريكا – من خلف ظهر إنجلترا .

وينقل ويلكى نص الحديث للامبسون وهو يتساءل عن سر عداء المصريين لإنجلترا . ويكاد لامبسون أن يجن .

ويسأل النحاس – عن طريق أمين عثمان – لماذا تسعى للحصول على معونة أمريكية ؟

ويرد أمين عثمان بعد الرجوع لرئيس الوزراء . . إن النحاس كان يريد أن يخلق موضوعاً للحديث مع ويلكى فسأله عما إذا كان يمكن لمصر أن تستفيد من القانون الأمريكى للإعارة والتأجير ، للحصول على قرض لمشروع السماد فى أسوان .

ويقول أمين عثمان :

« إن النحاس لم يقترح على ويلكى أو غيره إقامة اتصال مباشر دون علم إنجلترا . وإن هذه ليست سياسته أبداً » !

PUBLIC RECORD OFFICE
References—
COPYRIGHT - NOT TO BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMISSION

7578

[This telegram is of particular secrecy and should be retained by the authorised recipient and not passed on].

WAR CABINET DISTRIBUTION.

From EGYPT.

[Cypher]

From CAIRO to FOREIGN OFFICE.

Sir M. Lampson.
No. 487. D. 9.35 p.m. 4th February, 1942.
4th February, 1942. R. 9.45 p.m. 4th February, 1942.

****

MOST IMMEDIATE.

My telegram No. 486 and last sentence of your telegram No. 602.

Hassanein brought me the following message:

On receiving the British ultimatum His Majesty The King convoked the persons mentioned in the attached list (see my immediately following telegram) who submitted, after discussion of the British ultimatum, the following decision: "that in their opinion the British ultimatum is a great infringement of the Anglo-Egyptian treaty and of the independence of the country.

For this reason, and acting on their advice His Majesty cannot consent to an action resulting in an infringement of the Anglo-Egyptian Treaty and of the independence of the country."

As it was impossible to get into direct touch with Nahas who is still at the palace, Minister of State and I informed Amin of this message and asked whether Nahas (who you will see figures in the list) would take on the Government in the event of the King being forced to abdicate or being deposed. Amin swore by all his Gods that Nahas would do so. Minister of State and I decided that I should proceed with the audience at 9 p.m. as arranged and carry out the demand for the abdication of King Farouk.

Text of what I shall say to His Majesty follows.

IMDIV.

رفض زعماء مصر الإنذار البريطاني في أول الأمر!